

الافتتاحية**الاسلام هو الذى قضى على التعصب**

وجهت الى الاسلام تهم كاذبة كثيرة للتشهير به من قبل أعدائه، ومنها أمور وجدت فى الطاعنين أنفسهم، ولكنهم مكروا وكادوا فنسبوا الى الاسلام أعمالهم المخزية، ثم حملوا الاسلام مسئولية أعمال الجهلة من المسلمين على أنها نتجت عن تعاليم الاسلام.

الف - من معاني التعصب أن يزداد لأحد فوق حقه وينقص لآخر عند إعطاء الحقوق.
ب - ومنها أن تفرض قيود غير مشروعة على الناس فى سبيل الحرية الفكرية والحرية الدينية.

ج - ومنها حرمان الأديان الأخرى حق البقاء تأييدا لدين.
د - ومنها أن يزعم الانسان أن أتباع دينه هم المستحقون لبركات دينه وأنواره، والآخرون مبعدون عنها.

ونحمد الله تعالى على أن تعليم الاسلام بعيد عن هذه النقائص، وقد ذم القرآن الكريم والرسول ﷺ أقسام التعصب هذه، وطهرا ذيل الاسلام من هذه النقيصة دائما.

ويتأكد نفى أقسام التعصب الأربعة بما يأتى من آيات القرآن ومعاملة المسلمين:

- ١ - ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ (١)
- ٢ - ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ (٢)
- ٣ - ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان﴾ (٣)
- ٤ - ﴿وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا

(١) سورة المائدة (١ / ٥).

(٢) سورة المائدة (٢ / ٥).

(٣) سورة المائدة (٢ / ٥).

أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير ﴿١﴾

٥ - ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون﴾ (٢)

٦ - ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (٣)

٧ - ﴿لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾ (٤)

هذه هى بعض آيات القرآن، فهل يستطيع أحد أن يقدم من كتاب مقدس آخر مثل هذه التوجيهات أو أعلى منها؟

ثم ان نماذج التسامح وصور الحياد التى برزت فى عصر النبوة وخلفائه الراشدين والملوك العظام، لا تزال موجودة فى الكتب الاسلامية.

والحلف الذى عقده النبى صلى الله عليه وسلم مع اليهود بعد الوصول الى المدينة جدير بالنظر والتفكير، مع ملاحظة أن اليهود هم الذين لم تحسن اليهم قط حكومة بابل الوثنية، ولا رحمتهم حكومة مصر، ولا راعاهم قط أمة المسيح الذى نشأ فى نسل يهوداه.

ومعاهدة النبى صلى الله عليه وسلم مع النصارى تستحق أيضاً التفكير، وهى دليل قوى صارخ على حياد الاسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى التسامح والتوسع.

ومن أدلة التسامح والحياد موقف أهل السلطة فى عهد بنى أمية وبنى العباس والأندلسيين والفاطميين من الأمم الأخرى التى تمتعت بكافة الحقوق والحريات.

وكذلك تمتع اليهود والنصارى فى تلك العصور بالمناصب المهمة دون تفريق.

ثم انظروا الى الهند، كانت كلمة "آريا" تطلق على الأمم العالية على أنها أنسب من

(١) سورة الشورى (٤٢ / ١٥).

(٢) سورة المائدة (٨ / ٥).

(٣) سورة آل عمران (٦٤ / ٣).

(٤) سورة البقرة (٢٥٦ / ٢).

غيرها، ولكن المساحة التى خصصت فى كتاب "ستيارته بركاش" لـ "آريه ورت" (١) لم تدخل فيها منطقة مدراس وبنغال والولايات الواقعة فى الشمال الغربى، وكذلك خرجت منها معظم أمكنة ولاية بيهار، وقد حرم هذا التحديد ملايين الناس لقب "الأمة الكريمة" أو "الآريا".

ومن كرم المسلمين انهم اعتبروا نهر اندو (اتك) حدا طبيعيا، ولقبوا من يسكن وراءه بـ "هندو" وقد اجتمع تحت هذا اللقب جميع الأمم التى سكنت هذه المنطقة، وهكذا تحقق بينهم الاجتماع، ولم تمس الحاجة الى تسمية أحد باسم غير شريف.

ولما تم تعامل المسلمين مع سكان هذه البلاد ولقبوهم بـ "لاله" ومعناه الأخ الكبير، ولا تزال هذه الكلمة تستعمل فى نفس المعنى فى ولاية سرحد "الثغور" وهناك قرية ومحطة سكة الحديد تسميان "لاله موسى" وهو اسم مسلم وجيه فى هذه المنطقة.

ان الملك أورنكزيب يتهم بالتعصب، ولكن قائمة رجال بلاطه الهنادك أكبر من قائمة رجال بلاط أكبر الذى اتفق الناس على تسامحه وحياده.

ولم يضم أورنكزيب ولاية (راجبوتانه) الهندوكية الى مملكته، حينما قر أربع ولايات مسلمة فى منطقة (دكن) وضماها الى مملكته.

وكذلك لم يتدخل فى عادة احتراق الزوجة مع جثة زوجها، وعادة الزواج فى سن مبكرة، ولم يزل عدد السكان الهنادك حول عاصمتى آكره ودهلى أكثر من السكان المسلمين. وانظروا الى الألقاب التى منحت الحكام (راجا) الهنادك، انها ألقاب عظيمة، وقد خصصت منطقة أرضية أيضا مع كل لقب.

ثم ينبغى أن ننظر الى معاملة الهنادك مع المسلمين أيضا، فانهم اعتبروا المسلمين دائما منبوذين، ولكن المسلمين لم يعتبروا أحدا منبوذا، وتركوا التجارة للهنادك، وأقطعوا للمعابد الوثنية والملاجىء، وأنشأوا المساكن للفقراء والبائسين.

وانهم آثروا أرض الهند لحياتهم وموتهم على موطنهم الأصلى، واختاروا لغة هذه

(١) ستيارته بركاش (٣٥٦)، معنى آرياورت: العالم الذى كان يحكمه قوم آريا من الهنادك.

البلاد على لغتهم الأم وجعلوها لغة البلاط والقصور.
فهل يسع معترضا أن يقدم بقوله وفعله نماذج التسامح وعدم التعصب أكثر وأقوى مما
ذكرنا؟

ان التجارة الخارجية كانت بأيدي العرب وأهل الصين، ولما تقدمت الأمم الأوروبية
الى الهند رُحِبَ بهم ووضعت الضريبة الجمركية عن بضائعهم.
ولذا صرح علماء السياسة المعاصرة بأن تسامح المسلمين وعدم تعصبهم هو الذى أدى
الى انتهاء سيطرتهم وزوال ملكهم.

وقد يتحمل مسلم سمح هذا الاعتراض، ولكنه لا يسلم بأن الاسلام يدعو الى التعصب.
ولعل أحدا يقرأ هذه السطور فيشير الى غزوات الاسلام وسراياه والى حروب العرب
ويجعلها علامة للتعصب الدينى. ولكن الحقيقة أن مثل هذا الزعم مبنى على جهل التاريخ
وعلى الوقائع.

إن غزوات النبي ﷺ كانت مع الأمة والأسرة التى كان منها النبي ﷺ والسابقون
الأولون من المسلمين. وقد بالغت أمة النبي ﷺ فى عدااء الاسلام ومحاربته، فوقعت
الحروب، ومثل هذا الجدال العائلى لا يمكن أن يكون دليلا على التعصب الدينى.
وأود هنا أن أصرح بأن حروب الاسلام لم تكن لنشر تعاليم الاسلام ولا لإكراه
الأديان الأخرى، وقد ذكر القرآن الكريم علة الحروب الاسلامية فقال:

﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر
فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز﴾ (١)

وصوامع جمع صومعة وهى فى اللغة المبنى الذى يكون دقيقا فى أعلاه، وكانت
خلوات دراويش ترسا على هذه الصورة، وكذلك كانت معابد الهنادك، وكانت تعرف بهذا
الاسم.

وبيع جمع بيعة وهى كنيسة النصارى، وصلوات معربة صلوة بالعبرية، أى معابد

اليهود، والمساجد هي معابد المسلمين المؤمنين .
والآية المذكورة تدل على أن المسلمين أذن لهم بالقتال لتأمين حريات الأديان جميعا،
وليقتضوا على الفساد، حتى لا تهدم معابد النصارى واليهود والمجوس ومساجد المسلمين .
وطالب التاريخ المبتدىء يعلم أن الفرس اذا سيطروا على آسيا الصغرى فى عهد
برويز هدموا كنائس النصارى، وبعد عشر سنوات تحقق الانتصار للنصارى فأفنوا معابد
المجوس- (١)

وصوامع اليهود كلها هدمت على أيدي الملوك الروم ظلما وتعصبا، حتى أن أرض
أورشليم التى هدم بناءها ملك الروم يزدن عام ٨٠ م، قد جعلت مزبلة بأمر من والددة الملك
قسطنطين أول ملك نصرانى. أما مساجد المسلمين فلم تكن لها صيانة قطعا، فانهم كانوا
محاربين من قبل المجوس والنصارى جميعا. (٢)

أقام الله تعالى المسلمين، وحملهم مسؤولية الحفاظ على معابد العالم، فأدوا هذه
المسؤولية على أحسن طريق.

والآية المذكورة تضمنت تنبؤا أيضا، وهو أن حروب المسلمين حينما تكون للمبادئ
المذكورة يتحقق لهم النصر من الله تعالى، فينتصرون على كل أمة تهدم معابد دين آخر.
ومن تأثير هذا الكلام الربانى وإعجازه أن الجيش الاسلامى لم ينهزم فى موقع واحد
من المواقع فى زمن أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم، بل تحقق له الانتصار فى كل
حرب، وصدق قول الله تعالى:

﴿وان جندنا لهم الغالبون﴾ (٣)

وقد أثبت هذا الانتصار أن حروب المسلمين وقعت تحقيقا لمبدأ الحفاظ على معابد
أديان العالم واحترامها.

(١) ابن خلدون (٢ / ٢٢٣)، تفسير ابن كثير (٥ / ٣٤١) وما بعد .

(٢) ابن خلدون (٢ / ١٩٨، ٢٠١)، تفسير ابن كثير (٥ / ٣٤١) .

(٣) سورة الصافات (٣٧ / ١٧٣) .

فهل يبقى بعد ذلك اعتراض على الحروب الاسلامية؟ وأقول: ان من عزيمة المسلمين أنهم تحملوا الحروب وضحوا بأنفسهم فى سبيل الحفاظ على معابد غيرهم، فهل هناك أمة تستطيع الدلالة على عدم تعصبها بهذه الطريقة؟

اسألوا التاريخ كيف حافظ أعيان النصرانية وملوك الكنيسة فى الشام وفلسطين والعراق ومصر قبل الفتح الاسلامى، على أرواح الناس وأموالهم، بل على أرواح الفرق الأخرى من النصرانية وأموالهم؟

ان المسائل التى استمرت حولها سفك الدماء فى فرق النصارى مدى القرون كانت كالآتى:

- ١ - هل كان المسيح صاحب جسم واحد وروح واحدة؟
- ٢ - هل كان المسيح صاحب جسم واحد وروحين؟
- ٣ - فان كان صاحب جسم واحد وروح واحدة، فهل كانت هذه الروح إنسانية أو إلهية؟
- ٤ - فان كانت فيه روح إنسانية فمتى بدأت ألوهيته وكيف؟
- ٥ - وان كان المسيح صاحب جسم واحد وروحين (إنسانية وإلهية) فأى الروحين كانت غالبية؟
- ٦ - هل كان هناك تغالب بين الروح الإنسانية والروح الإلهية حيناً أو آخر؟
- ٧ - وصلب المسيح وقع مع الروح الإلهية أو بدونها؟
- ٨ - وان لم تكن معه الروح الإلهية وقت الصلب فكيف تحملت الروح الإنسانية ذنوب المذنبين؟

٩ - وان كان معه الروح الإلهية فهل وقع صلب الألوهية أيضاً؟

والحاصل أن مثل هذا التعنت والتعذر كدّر تعليم المسيح الصافى والصادق وعقّده غاية التعقيد، فظهرت بدع جديدة وفرق عديدة زعمت أن رضا المسيح فى قتل أتباع الفرق الأخرى. والسيطرة الاسلامية هى التى أوقفت هذه المأساة الدموية على جزء كبير من الدنيا.

وكانت ايران تحت حكم مبادئ المزدكية، ولم يكن هناك حق الحياة للمرأة إلا جعلت نفسها شيئاً مشاعاً للأمة.

ولما حاولت بوران دخت وايران دخت من الحكام إلغاء العمل بالمبادئ المذكورة وصلت كل منهما من عرش الحكم الى خشبة الموت. والحكم الاسلامى هو الذى حافظ على أرواح الناس وأموالهم، وتسامح الاسلام هو الذى سبب لهم الحياة.

وقد أورد كتاب "ستيارته پركاش" الأفعال والترانيم الفاحشة المأجنة لـ "كوشائين وبيراكى وچيرانكت آچارى، وويشنوآوك، ووام ماركى، وفرق مارك" ووجود مثل هذه الفرق فى الهنادك كان سبباً للمحاربة والمجادلة.

والأمم الهندوسية التى دخلت فى الهند جعلت سكانها المفتوحين منبوذين، ولا يزال العمل على ذلك الى الآن، والأعمال التى قام بها أتباع البوذية والجينية فى إبادة أجيال الهنادك والأعمال التى قام بها ديانة (شنكر أچارج) لإخراج البوذيين من الهند، هى كلها قصة دموية للتعصب. ومن جراء هذا التعصب والعناد أنه لم ينجح ملك هندوكى فى حكم جميع الهند، بل ظلت كل حكومة صغيرة فيها متشابكة مع حكومة صغيرة أخرى.

ومن تسامح الاسلام أنه علم جميع الفرق والحكومات البقاء فى حدودها، ونفس هذا التوجيه تلقته دولة بريطانيا وبه تمكنت من الحكم على مئات الأديان بالهند، ولكن لم يتيسر مثل ذلك فى انجلترا وويلز وايرلندا واسكات لندا، مع أن سكانها كانوا من فرقتي البراتستان والكاثوليك.

وخلاصة المبحث أن الاسلام لم يقر التعصب أبداً.

(من كتاب: رحمة للعالمين للقاضي محمد سليمان المنصورفورى،

تعريب: د. مقتدى حسن محمد ياسين الأزهرى)

